

مراسيم الجَزِيَّة في قسنطينة: مقارنة أنثروبولوجية للطقوس والممارسات
Djeria Ceremonies in Constantine
An Anthropological Approach to Rituals and Practices

فريال عباس¹

المدرسة العليا للمحاسبة والمالية - قسنطينة ESCF - (الجزائر)،

fabbas@escf-constantine.dz

تاريخ الوصول 2023/04/15 القبول 2023/12/27 النشر على الخط 2024/01/10
 Received 15/04/2023 Accepted 27/12/2023 Published online 10/01/2024

ملخص:

يُعنى هذا البحث بدراسة أهمّ مراحل المراسيم الاحتفالية المصاحبة لطقوس الزواج بمدينة قسنطينة في الشرق الجزائري؛ ويتعلق الأمر بمراسيم الجَزِيَّة باعتبارها احتفالية نسوية، مُقامة من أجل العروس ومُوجهة للنسوة من أهل العريس، وذلك عبر مقارنة أنثروبولوجية قوامها بحث ميداني يستند إلى تقنيات الملاحظة والمقابلات والتصوير الفوتوغرافي، فضلا عن بحثٍ مكثبي نظري، وقد بنينا عملنا هذا على المشاركة الفعلية للعائلات بالمجتمع، وملاحظة ما يقومون به، ثمّ الإحاطة بما يرتبط بهذه المراسيم من ممارسات وطقوس، وخاصة طقس الحنّة الذي كان ولا يزال محور الجَزِيَّة، مع العلم أنّنا حاولنا تجاوز الوصف، إلى إعادة تنظيم وترتيب المادة المجموعة، وتحليلها لفهم المنطق الداخلي الذي يحكمها، وإبراز أهميتها ووظيفتها، والكشف عن أبرز التغيّرات التي اعترضتها، سواءً أكان هذا الأمر جرّاء بوادر نزعة فردية، أو نتج عن تداخل بين التقليدي والعصري.

الكلمات المفتاحية: مراسيم الجَزِيَّة؛ قسنطينة؛ طقوس الزواج؛ احتفالات الزواج؛ الحنّة.

Abstract:

This research is concerned with studying the most important stages of the ceremonies accompanying the marriage rituals in the city of Constantine in eastern Algeria. It is related to the "Djeria" ceremony as a feminine celebration, held for the bride and directed to the women of the groom's family, through an anthropological approach based on field research based on observational techniques, interviews and photography, as well as theoretical desk research. What they do, then take note of the practices and rituals associated with these ceremonies, especially "the henna ritual", which was and still is the focus of the story, knowing that we tried to go beyond description, to reorganize and arrange the collected material, and analyze it to understand the internal logic that governs it, and to highlight its importance and function, and to reveal the most prominent changes that I objected to it, whether this was the result of signs of individualism, or resulted from an overlap between the traditional and the modern.

- **Keywords:** Ceremonies of Djeria; Constantine; The marriage rituals; Ceremonies of marriage; Henna.

1. مقدمة:

تعرفُ مراسيم الاحتفال بالزواج في الجزائر تنوعاً في تفاصيل التحضير لها وطرق إتمامها، حيث تُرافقُ مجموعة من الطقوس والممارسات التي يعمل أفراد الجماعة على إنجازها ومتابعتها بدءاً من الخطوبة، مروراً بترتيبات الاحتفال التحضيرية، وصولاً إلى حفل الزفاف، وتُعتبرُ هذه المراسيم تمثيلاً لثقافة المجتمع ووعاءً لقيمه ومعتقداته؛ فهي تُحسّد انتماء الفرد إلى جماعة معينة، وفي هذا الصدد تترسّخ طقوس الزواج في مدينة قسنطينة لدى المجتمع المحلي، والتي تبدأ في بيت أهل العروس وتنتهي بمنزل العريس؛ والملاحظ لهذه المراسيم يتبيّن له أنّها تُشكّل كلاً مُتتالياً مُؤلفاً من مجموعة من المراحل المتناسقة التي تحترّم تسلسلاً مُحدّداً (الخطبة، تليها الفاتحة، فالجزيّة، وبعدها العرس، فالصباحة ثمّ السّابع).

ومنه تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعريف بمراسيم الجزيّة والطقوس المرافقة لها، ناهيك عن الممارسات المرتبطة بها وأهم التغيّرات التي طرأت عليها، من خلال مقارنة أنثروبولوجية، والجزيّة بوصفها مرحلة مهمّة من مراحل الاحتفال بالزواج بمدينة قسنطينة؛ اعتُبرت قديماً من المراسيم التحضيرية السابقة للمراسيم المركزية، فهي الاحتفال الذي يسبق العرس ويلى الخطبة الرسمية، وتُقام بعد طقس الفاتحة مباشرة، أي بعد العقد الديني للزواج وفقاً للشريعة الإسلامية، حيث يتم تحديد أساسياتها بعد الاتفاق الفعلي بين العائلتين على الشروط الاجتماعية للزواج (الصّدق وجملة المراسيم التي ستتوج بها المصاهرة)، هذه الاحتفالات التي ترسم الانتقال من جماعة إلى أخرى، ومن وضع اجتماعي إلى آخر، باعتبارها أول لقاء رسمي بين العائلتين المتصاهرتين، تعدُّ إحدى الطقوس الانتقالية المهمة في حياة الجماعة والأفراد على حد السّواء.

إذ بين المحافظة على أصالة وهوية وتراث المدينة، وبين مُسايرة مُتطلبات العصر لا تزال المحافظة على مراسيم الاحتفالات موروثاً اجتماعياً وثقافياً ثابتاً لدى بعض العائلات، وهنا تبرز أهمية التساؤل حول طبيعة التغيّرات في المراسيم الاحتفالية، لأنّ مفهوم التغيّر في حدّ ذاته يُعبّر عن طابع الثبات، أي الحفاظ على بعض المظاهر الخاصة بالمراسيم، والاحتفال بالزواج يُشكّل نتاجاً لسيرونة تاريخية وثقافية واجتماعية واقتصادية عرفت تحوّلات مُتعدّدة، وهذا ما يُحيل إلى خاصية مهمّة في المراسيم الاحتفالية تتمثل في ديناميكيتها الكبيرة، ومنه فالجدير بالذكر أنّ بعض الممارسات والعادات المرتبطة بالاحتفال بالزواج في قسنطينة عموماً ومراسيم الجزيّة خصوصاً قد اختلفت -بعض الشيء- بين الماضي والحاضر.

وعليه سنتناول هذه المراسيم عبر وصف الطقوس والممارسات المرتبطة بها، مع تحليلها وإبراز خصوصيتها والكشف عن أهم التغيّرات التي عرفتتها، وذلك من خلال طرح التساؤل الرئيسي الآتي:

ما المقصود بمراسيم الجزيّة في قسنطينة؟ وما الذي ميّزها مع مرور الزمن؟

هذا التساؤل الرئيسي الذي تفرّعت عنه جملة من التساؤلات الجزئية المتمثلة في:

- فيما تتمثل وظيفة الجزيّة خلال مراسيم الزواج؟

- ما هي أهم محطاتها؟

- وما هي أبرز التغيّرات التي طرأت عليها؟

2. منهجية التقصي الميداني:

لا تُعدُّ دراسة التغيُّرات بالمراسيم الاحتفالية للزواج مجرد مقارنة بسيطة بين نمطين من الاحتفال، أولهما حدث بالماضي ويُسمى بالمراسيم التقليدية والآخر يُقام في الوقت الحاضر ويُعرف بالمراسيم الحالية؛ ذلك لأنَّ الصعوبة الأساسية تكمن في طبيعة الموضوع ذاته، وفي الأبعاد التي اكتسبتها الممارسات بمرور الزمن؛ فالجتمتع قد اعترته عدَّة تغيُّرات اجتماعية وسياسية واقتصادية، فضلاً عن عوامل الثقافة التي فرضت عليه مُسايرة طبيعة الحياة العصرية والتطور التقني، وعليه عمدنا خلال بحثنا هذا لتحديد التغيُّرات التي مسَّت احتفالية الجزيَّة بقسنطينة بعيداً عن مُنطلق المقارنة الجافة.

ولرصد المراسيم الاحتفالية لها في البيوت القسنطينية أو قاعات الحفلات (صالات الأفراح) بها، اعتمدنا على المنهج الأنثروبولوجي؛ حيث استعنا بالأدوات والوسائل البحثية الآتية:

1.2. الملاحظة بالمشاركة:

فقد استخدمنا في بحثنا هذا الملاحظة بالمشاركة؛ وهي الملاحظة التي يُشارك فيها الباحث حياة الجماعة التي يودُّ دراستها، حيث يكون يقطاً "لكلِّ المعلومات الخارجية والتساؤلات التي تتطوّر مع تطور مسار البحث¹، وأهم ما يميّز هذه الأداة أنّها تقوم على "تنسيق بين أفعال ثلاث: الإدراك، التذكّر والتسجيل"².

ومن أجل المقاربة الأنثروبولوجية لميدان الدراسة؛ قمنا بمتابعة وحضور هذه المراسيم في الوسط الذي تتم به، منذ بداية التحضير لها، وأثناء حدوثها، وقد حاولنا الاندماج بها والمشاركة فيها من خلال:

- اكتساب ثقة أصحاب الاحتفال من خلال شرح أهمية العمل الذي نقوم به.
- مشاهدة إتمام الطقوس والممارسات بصفقتنا من المدعوين.
- الاستعانة بشبكة من العلاقات الخاصة للاستفادة من دعوات مباشرة إلى المراسيم الاحتفالية.
- مُرافقة بعض المعارف لمراسيم احتفالية خاصة بعائلتهم أو أصدقائهم.
- التقرب من أصحاب قاعات الحفلات، والذين سمحوا لنا بحضور المفاوضات حول كراء القاعة.
- الاستفادة من دعوات خاصّة من قبل بعض المدعوين أثناء بعض المراسيم بقاعات الحفلات.
- تقاسم ذلك الزمن المقتطع من الحياة اليومية الاعتيادية مع أصحاب الحدث: ممّن يُعدّون له من الأمهات على وجه التحديد، ومّن يُعدّ من أجلهنّ.
- الاتصال المباشر بالعروس لمرافقتها أثناء التحضير للمراسيم: ذهابها وعودتها خلال "التصديرة"، وحضور طقس الحنة وهو طقس محوري لا يسمح فيه عادة إلا باقتراب الأهل؛ حيث سُمح لنا بأن نكون من الموثقين لهذه الممارسات بوصفنا شهوداً على إمام العائلة بعادات وتقاليد المدينة.

¹ Beaud Stéphane et Weber Florence, *Guide de l'enquête de terrain : produire et analyser des données ethnographiques*, éd. La découverte. Paris, 1998, p143

² *Ibidem.*,

- ارتداء ملابس مناسبة للحدث، مع التقاط العديد من الصور لترسيخه.
 - الاستعانة بمسجل تقني (آلة تسجيل)، أو تسجيل يدوي كلاسيكي (ورقة وقلم)، وذلك حسب إمكانيات وظروف العمل الميداني.
 - تدعيم ملاحظتنا بتسجيلات فيديو خاصة أمدنا بها الفاعلون (أصحاب الاحتفال)، والتي كانت سندا لنا في عملية وصف المراسيم.

2.2. المقابلات نصف الموجهة:

تم إجراء هذه المقابلات قبل وأثناء الحدث، بالاعتماد على دليل كان قد أُعدَّ مسبقاً بغية الوصول إلى أكبر حجم من المعلومات، وأدق تفسير للملاحظات "هذه الوسيلة التي قد لا يستغني عنها أي باحث، إذ أن بعض الجوانب تحتاج إلى تفسير من قبل المبحوثين، فكثير من النواحي الشخصية تصل في دقتها إلى درجة لا يتسنى معها الحصول مكانها على بيانات إلا عن طريق المقابلة"¹.

كانت هذه المقابلات مع فاعلين اجتماعيين من الجنسين، ومن أعمار مختلفة، لاسيما مع كبار السن، وذوي المعرفة بالممارسات والطقوس الاحتفالية، أو مع من أقيم من أجلهم الاحتفال أو بعض المدعوين. وقد وردت مقابلاتنا على الأشكال الآتية:

أ - مقابلات فردية: تمت في جلسة خاصة مع مبحوث(ة) واحد(ة)؛ بغية طرح الأسئلة حول مراسيم الزواج عموماً ومراسيم الجزيّة على وجه التحديد.

ب - مقابلات جماعية: جرت بتنظيم مقابلة مع مجموعة مكونة من 4 إلى 5 أفراد من نفس الجنس أو من الجنسين؛ بغرض إشراك الجميع من أجل إثراء المناقشة حول موضوع البحث.

3. دلالات ورمزية الجزيّة بالمراسيم التحضيرية للعرس:

كلمة "جزيّة" مشتقة لغوياً من الفعل "جرى، جريًا وجريًا" وجرىً إلى الشيء: قصده"²، يُقال جرى الماء في الوديان: إنساب، سأل، تدفق، وفي قوله تعالى بسورة البقرة الآية 25: ﴿أَنْ هُمْ جَنَاتٍ بَّحْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، وجرى إلى مفر عمّله: قصده مُسرِعاً³.

كما تحمل كلمة جزيّة معنى الذهاب مُسرعا أو الهرولة، وعادة ما تُستعمل في الحياة اليومية عبارة "جرى ليهم"؛ أي ذهب مُسرعا لاستقبال أهله، لكن هذا الجري لا يتم عن القلق وإنما ينطوي على السرور والفرح والترحيب بقدوم الشخص، ويقال أيضا "يحطوه بالجزيّة" أي يضعون الشخص موضع تكريم وترحيب أو كما يقال في قسنطينة "يُكَبِّرُوا بيه".

¹ غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة، مصر، 1993، ص.298.

² لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية الطبعة 19، - بيروت، دون سنة النشر، ص. 89

³ معجم المعاني الجامع، لكل رسم معنى، <https://www.almaany.com>

وعليه تُعدُّ الجَزِيَّةُ؛ في المراسيم التقليدية للعرس القسنطيني أول زيارة رسمية احتفالية للعائلة التي تمت مصاهرتها؛ حيث تُقام المراسيم حتى تتعرّف العائلتين المتصاهرتين على بعضهما بصورة أفضل: عائلة المانحين (مانحي العروس) وعائلة الآخذين (آخذي العروس)، فإذا تمت الخطبة والفاحة في إطار عائلي ضيق، فإنَّ الجَزِيَّةُ تتم في إطار مُوسَّع، باعتبار أنَّها مناسبة مهمّة للمرأة، إنَّها عرسها بتعبير آخر؛ وفي التعبير القسنطيني المحلي عبارة "أَيُّ دَارَتْ الجَزِيَّةُ دَارَتْ عَرَسَهَا" دلالة على ذلك؛ بمعنى أنَّ من أقامت مراسيم الجَزِيَّةُ فقد احتفلت بزواجها، وهي فرصتها لتدعو الأهل والجيران والأقارب من درجة قرابة بعيدة (البعائديَّة)، والبرائنيَّة (الذين ليسوا على علاقة قرابة بالعائلة)، والتفسير الاجتماعي لذلك هو أنَّ العُرس سيكون خاصا بالعريس وأهله.

وقد برزت الجَزِيَّةُ من خلال بحثنا الميداني بمثابة حفل مسائي نسوي كان يتم في بيت والد العروس "دار باباها"، والذي يُقام على شرف نساء أهل العريس من قبل النسوة من أهل العروس؛ حيث تقتضي الأعراف على أن يلتزم المانحون (مانحي العروس) بإقامتها، وتُحدّد أم العروس تاريخها، ليحضر أهل العريس خلالها مُحْمَلين بالهدايا والحلوى "يجيبوا الجَزِيَّةُ"، هذا الحفل الذي يتم إحياءه عند العائلات القسنطينية الكبرى من قبل فرق نسوية تُعرف بـ البنوتات أو الفقيرات¹.

حيث تحدث "ديمبينز غودفروي" (D. Gaudefroy) في كتابه حول مراسيم الزواج بالمناطق الحضرية في الجزائر عن الجَزِيَّةُ دون ذكر لتسميتها، مُصْرِحاً بأنَّها "العادات القسنطينية فيما يخص المراسيم السابقة للزواج ليست معروفة بتفاصيل دقيقة، وهي تحتوي على أداء الهدايا المقدمة من طرف النساء"²، وتضيف الباحثة "ف. ز. قشي" من خلال دراستها لعقود الزواج بمدينة قسنطينة في القرن 13 هجري، بأنَّ "الجرية بدعة أو تجديد في الطقوس عند القليل من العائلات التي لها ما تقوله في الميدان الاجتماعي دون أن تضع نفسها في مصاف الفئة العليا"³، كما أفادت حسب النتائج التي توصلت إليها بأنَّ الجَزِيَّةُ قد وردت ضمن قائمة المطالب الملحقة بالصدّاق دون أن يرد توضيح لمعناها، حيث يتم خلالها دفع الصداق.

يكمن الاختلاف الرئيسي بين طقسي الجَزِيَّةُ والفاحة التي تسبق الجَزِيَّةُ وتُهد لها، في الوظيفة الاجتماعية لكلّ منهما؛ فالفاحة طقس مقدس يُدخل علاقة المصاهرة في فضاء الشريعة الإسلامية، في حين أنَّ الجَزِيَّةُ تُعتبر تأكيداً اجتماعياً- ثقافياً لعلاقة المصاهرة؛ حيث تخرجها من الإطار العائلي الضيق إلى المحيط الاجتماعي الواسع، لتكون بذلك ذات طابع يجمع ما بين الجانب الاجتماعي والديني الذي يميز الزواج عامة، كما أنَّها ذات دلالة على الانتقال الرمزي للفتاة (العروس) إلى جماعة أخرى من خلال التعبير الضمني على

¹ البنوتات: فرقة موسيقية نسوية تستعمل الطار، الدربوكة والكمان، وتتواجد خاصة في مراسيم الجرية.

الفقيرات: فرقة موسيقية نسوية تستعمل البندير والطار، وهي فرقة خاصة بمراسيم الجرية، وتقوم أساساً بتأدية المدائح الدينية.

ويكمن الاختلاف بينهما في كون البنوتات يؤدون جزءاً من القصيدة؛ أي أبيات منها، بمعنى الحلّة فقط، ويختلفن عنهن أيضاً في نوعية الآلات المستعملة (آلات وترية). لمزيد من التوضيح، ينظر:

Saidani Maya (sous la dir., *Musiques et danses traditionnelles du patrimoine algérien*, Ministère de la culture, Algérie, 2013, p.p. 184-185.

² Demombynes Gaudefroy, *Les cérémonies du mariage chez les indigènes de l'Algérie*, éd: Maisonneuve, Paris, 1901, p.40

³ قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن 13 هـ: من أواخر القرن 18 إلى منتصف القرن 19. رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1998، ص. 313.

انتمائها إلى عائلتها الجديدة، فجلوسها وسط الحريم القادم خلال الحنّة رمز عن ذلك، ولما تُمدّ العروس يدها للمرأة المفوضة من أهل العريس من أجل وضع الحنّة فهي تعلن عن قبولها ورضاها بهذا الزواج.

1- مُكوّنات الجَريّة:

يتمّ تحديد مراسيم الجَريّة خلال مرحلة المساومة¹ بين العائلتين المتصاهرتين؛ على اعتبار أنّها تندرج ضمن الشروط الموضوعية والمتفق عليها مُسبقاً، وتحتوي هذه الجَريّة أو ما تُعرف بهدية أهل العريس إلى عروسهم: الشموع والحنّة، التبديلة التي تضم كلّ لوازم العروس من أول ما تتعلقه برجليها إلى آخر ما تضعه على رأسها، لوازم الحَمّام كاملة؛ من الفوطة، وهي قطعة من النسيج، مستطيلة الشكل، حمراء اللون، تتخلّلها خيوط ذهبية، وتستعمل في المدينة للدخول إلى البيت السخون بالحَمّام، ومناشف الحَمّام للخروج، والمشط المصنوع من العاج، والققباب والمملوي، وهي منشفة لتغطية الشعر، مع تشكيلة من الحلويات، فضلاً عن الصّدّاق النقدي المتفق عليه مُسبقاً، والمُسمّى بـ"الدّفُوع أو الدّفَع".

بعد صلاة العصر، يتوافد المدعوون من أهل العروس على دار والدها، فتستقبلهم أمها وأخواتها المتزوجات أو خالاتها، ثم يحضر أهل العريس ويُرافقهم عدد من الأقارب المرموقين والمقرّبين، والذين من المعتاد حضورهم دفعة واحدة، بحيث يكون عدد الرجال المُقتصر دورهم على مرافقة النسوة محدوداً، ليستقبلهم نظائرهم من العائلة المانحة، ويتمّ إجلاسهم في مكانٍ منفرد مخصص لهم. يدخل "الحريم"؛ وهنّ النساء المتزوجات المرافقات لوالدة العريس، بحيث لا وجود للعواتق (العازبات) هنا، تتقابل النسوة بالزغاريد، ثم تبدأ سلسلة من التهاني والتبريكات، ثم تنطلق الأغاني، وتُقدم لهنّ القهوة والحلويات في انتظار دخول العروس عليهنّ برفقة الماشطة²؛ التي تُزيّنّها وتلبسها لأجل تصديرتها، وقد كان من العادة أن تحتفي العروس عن الأنظار ولا تظهر إلا للضرورة، ومن دون أن تتزيّن؛ وذلك عملاً بالمعتقد القائل: "حتّى ينزل عليها السرّ"؛ لتبرز فاتنة يوم تصديرتها، فتكون بذلك المركز الذي تُسلّط عليه الأنظار يوم الجَريّة.

4. طقس الحنّة؛ ختام الجَريّة:

تُختتم الجَريّة بطقس مُهمّ يُعتبر محور وجودها، وهو طقس الحنّة الذي يُصاحب مجموعة من الممارسات التي لا غنى عنها، حيث تعدّ جزءاً أساسياً من الطقوس الاحتفالية المرافقة للزواج بالجمتمع الجزائري، وتبرز أهميتها في أنّها "تتجاوز الحدود الجمالية التي تتزين بها يد النساء والرجال ظاهرياً لتأخذ بعداً سحرانياً رمزياً، بحيث أنّها أفرزت جملة من الطقوس والتقاليد السحرية تنتمي لماضي مليء

¹المساومة: هي مجمل المفاوضات القائمة حول قيمة الصداق والهدايا والمراسيم التي ستتوج بها علاقة المصاهرة خلال الخطبة.

²الماشطة: هي المرأة التي تقوم بتزيين العروس، وغالباً ما تكون يهودية الأصل، وتسمى بالجلّاسة، ينظر:

بالرموز والمعتقدات"¹، وقد كان هذا الطّقس قديماً يَنَمُّ في غرفة من المنزل بعد تناول وجبة العشاء، حيث يلتف النسوة حول العروس التي تدخل الغرفة مُتوسطة فتاتين عازبتين تحمّلان شمعتين طويلتين ولم تستعملا قبلا، ثم تعلقو الزغاريد والأغاني، لتجلس العروس وسط الحريم القادم أو الحنّاية دلالةً على انضمامها إليهم، وهذه الجريّة تُعرف في مناطق أخرى بالشرق الجزائري وبالغرب الجزائري كتلمسان مثلا "بالملاك"؛ والملاك من الإملاك: عامية من مَلَك - مَلَكاً ومَلَكاً وتملك الشيء: احتواه، استولى عليه²، كإشارة لامتلاك أهل العريس للعروس³.

توضع لوازم الحنّة في الصّينية؛ وهي طبق مستدير من النحاس، والتي تتكوّن من: المرش المليء بماء الزهر المقطر، وإناء نحاسي صغير لخلط الحنّة يكون منقوشا وشكله يشبه الصحن بحافة مسننة، وسكرية بها قطع من السكر، وكأس من الحليب. تتقدم امرأة كبيرة في السن ومن أقرباء العريس تُفوضها أمه، ويشترط فيها أن تكون حسنة السعد، ولودا وغير مطلقة، تجلس أمامها امرأة مُفوضة من أهل العروس، لتلتف بقية النسوة حولهنّ، ثم يوضع منديل أبيض اللّون يسمى المشاطة على حجر العروس، وتشرع المفوضة من أهل العريس ببل الحنّة بالحليب؛ حتّى يكون حظ العروس أبيضاً مثل لونه "كتبتّها بيضا"، ويوضع في الحنّة قطع من السكر أو التمر كي تكون حياتها حلوة كالسكر، كما ترش بماء الزهر كي تكون محظوظة "مزهرة"، ثم يحاط خليط الحنّة بخمس شموع، في دلالة رمزية خاصة بالعدد "5" للحماية من العين.

توضع هذه الحنّة على كامل يد العروس في شكل نقوش متناهية الدقة والجمال، وعلى أخصم القدمين، كما تُغلّف بقطعة من القماش وتُسمى "باللفة".. ويقضي العُرف أن تكون اليد اليمنى أوّلا تليها اليسرى، والرجل اليمنى ثم اليسرى. تصاحب هذه الممارسة بعض العناصر اللفظية والحركية طلبا للبركة بالإكثار؛ مثل الصلاة على رسول الله، ودقات الطبول والأغاني التي تكون أساسا من المديح من قبل فرق نسوية (البنوتات والفقيرات).

1.4. التّصديرة أساس الجريّة:

يُطلق على جلوس العروس وسط أهل العريس "بالتّصديرة" في دلالة لاحتلالها الصدارة؛ حيث يُجلّسها الماشطة أو والدة العريس فوق وسادة لتكون مرتفعة عن بقية الحضور، وتقول: "وَسَدَّتْ بِنَيْتِي تَعْلَى وَيَعْلَى شَانَهَا وَتَسْتَرِيحُ بِالصَّبِيِّ عَلَى زَمَانَهَا"؛ وفي ذلك دلالة على الرغبة في رفعة العروس وإنجابها للصبيان، كما يقال عنها "عُرُوسَةٌ مُصَدَّرَةٌ" أو "عُرُوسَةٌ مَجَلِيَّةٌ"؛ واللفظ مُشتق من (الجلي) الذي يعني لغة: الصقل وكشف الصدا عن السيف أو الفضة أو المرأة ونحوها، والواقع أن ما يحدث في التّصديرة أو الجلوة

¹ Leach Edmund R., « La ritualisation chez l'homme selon son développement social et culturelle », in : Collectif. *Le comportement rituel chez l'homme et l'animal. Trad. de l'américain (Ritualisation of behaviour animals and men)* par P.Vielhomme. Éd., Gallimard, Paris, 1971, p. 98

² لويس معلوف، نفس المرجع السابق، ص. 774

³ Kezzal. C Ougouag, « Le costume et la parure de la mariée à Tlemcen ».in *libyca*, TomeXV111, Alger, 1970, p.264

هو كشف الصدا عن العروس وجليها تماما كما يحدث للمرأة؛ حتى تشرق وتبرز فنتتها وحسنها وجاذبيتها، والمقصود "بالجلوة عمل كل الوسائل التي من شأنها إظهار العروس في أبهى منظر وأجمل مظهر يمكن أن تظهر به"¹.

ترتدي العروس قندورة القطيفة إضافة إلى الدراية²؛ هذا اللباس التقليدي الذي تساعدها الماشطة في ارتدائه والذي لا يكتمل إلا بالزينة والحلي التي تخص كل أجزاء البدن، قد تصل قيمتها لآلاف الدينارات، وقد لا تمتلك العروس كل ما تترين به؛ حيث تُسهم العائلة في توفيره لها.

2.4. الرشق: بين التكافل الاجتماعي والتفاخر

تعتبر عملية الرشق من أهم ما يميّز المراسيم المرافقة لطقس الحنة، وهي مشاهدة بشغف كبير؛ إذ بعد الانتهاء من وضع الحنة يبدأ الرشق، أو ما يُعرف كذلك بالعوّن دلالة على التعاون والتكافل؛ وهو عملية جمع الهدايا (النقدية والعينية)، بحيث تضع والدّة العريس هدية ذهبية من الحلي التقليدية التي يتم الاتفاق عليها سابقا من قبل الجماعة النسوية، كالسحاب أو الزيف (الخلخال) أو مقياس... -وذلك حسب الاستطاعة-، إضافة إلى قيمة الصداق النقدي -إن لم يتم تسليمه في مناسبة سابقة- والذي يتمّ عدّه علنا، بعدها تتوالى النسوة المرافقات لوضع مبالغ من المال، وبعد انتهاء أهل العريس يجمع الرشق الخاص بهم في قطعة من القماش، ليوضع قطعة أخرى خاصة بأهل العروس، حيث تتقدم والدتها وتبدأ بالرشق، لثحاكيها باقي النسوة من أهل العروس، ثم يتمّ جمع المبلغ كالمرة السابقة، بحيث تعتبر هذه التفرقة بين المبالغ المقدمة من قبل الطرفين مؤشرا مهماً على المواجهة بين العائلتين، إذ غالبا ما يتم إهداء العروس قطع من اللويز (Louis d'or) من قبل المقربات إليها؛ حيث تقوم كل واحدة برشق قطعتين من اللويز "زوج لويزات"، كنوع من التكافل لمساعدتها في إتمام أحد أهم قطع الحلي الواجب ارتداؤه في "السابع"؛ أي سابع أيام العرس وهي "الحزمة".

بعد انتهاء الحنة والرشق، توضع صينية القهوة للمدعوين، مُزينة بأنواع مختلفة من الحلويات التي تتفنن النسوة في صنعها للتباهي بها وإبراز مهاراتها فيها، ثم تنتهي الجريّة بمغادرة الحريم لبيت العروس على وقع الغناء والرقص والزغاريد.

5. الجريّة من المراسيم التحضيرية إلى المراسيم المركزية:

أكد لنا البحث الميداني الذي قمنا به أنّ الجريّة في قسنطينة لا تزال مرحلة محورية خلال مراسيم الزواج، بل قد عمت هذه المرحلة من المراسيم وانتشرت، فإذا كانت قديما حكرًا على فئة من المجتمع، فإنّها بالوقت الحاضر قد أصبحت ممارسة تعرفها كل الفئات الاجتماعية دون تمييز، حيث ارتبطت دلالة إقامتها على الانتماء إلى المدينة، كما زادت أهميتها لتصبح من أهم المراسيم الاحتفالية بالزواج في قسنطينة في الوقت الراهن، وقد تجاوز مقامها العرس أو ليلة الدخلة نفسها، ويعود ذلك إلى عوامل مختلفة.

¹ دياب فوزية، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية. دار النهضة، بيروت، 1980، ص. 293.

² الدراية: قطعة كبيرة من القماش الأبيض الحريري، قد تتخلله خيوط ذهبية يتميز بالكبر، وهو جزء مهم من لباس العروس التقليدي، تثبت في الرأس ويُسدل جزء منها خلف ظهرها، في حين يغطي الجزء المتبقي وجهها؛ لمدارتها عن أنظار أهل العريس خاصة، وحمايتها من الإصابة بالعين، وللدراية رمزية كبيرة؛ فهي تعبير عن عذرية الفتاة، والدلالة واضحة من خلال اللون الأبيض الذي يميّزها.

لقد تغيرت الطريقة التي تتم بها الجريّة؛ حيث أُدخل على طقس الحنّة ممارسات جديدة، فأصبحت تقوم على مرحلتين، مرحلة أولى تقليدية ثم مرحلة ثانية تتماشى مع الحياة العصرية أو تستجيب لتأثير الظروف الخارجية التي عرفها المجتمع.

1.5. المرحلة الأولى: الحنّة بين الطقوس الانفصالية والممارسات التفاخرية:

يبدو طقس الحنّة (ينظر: الصور رقم 01 و02) للوهلة الأولى وكأنّ الجريّة ما تزال تمارس بنفس الطريقة؛ حفلة نسوية مسائية تقيمها عائلة العروس، غير أنّ أحد أهم مظاهر التغيّرات البارزة هو إقامتها في قاعة خاصة بالاحتفالات يتمّ كراؤها من قبل عائلة العروس للمناسبة بدل البيت، وهو تغيير قد طرأ على مراسيم الزواج عموماً، كما اعتُبر تأبّط العروس ذراع خطيبها وهي متوسطة فتاتين تحملان الشموع أحد أهم مظاهر التغيّر الحاصلة؛ فإن كان دخول الرجال ممنوعاً خلال طقس الحنّة، فقد أصبح توصيل العريس لعروسه حتّى مكان جلوسها (تصديرتها) ومرافقته لها لحضور طقس الحنّة ممارسة جديدة في الوقت الراهن، وذلك تحت وميض آلات التصوير الفوتوغرافي والفيديو وأجهزة الهاتف الحديثة.

الصورة رقم 01: التحضير للحنّة



المصدر: الباحثة (جريّة قسنطينية، 2019)

الصورة رقم 02: طقس الحنّة



المصدر: الباحثة (جريّة قسنطينية، 2019)

كما لا تزال العائلتان تجريان للفرح والترحيب بدخولهما هذه المصاهرة، والعروس التي لم تتخلّ عن اللباس التقليدي "قندورة القטיפيّة" المخرّجة بالفتلة أو المجدود، ولكمّام والدراية إلى جانب عدد كبير من الحلبيّ، رغم أنّ قندورة القטיפيّة تعدّ واحدة من أغلى الأزياء التقليدية في وقتنا الحاليّ، ومع ما أصبح سائداً في المجتمع الجزائري من الممارسات المهجينة؛ يمزج الأزياء التقليدية لمختلف مناطق الجزائر مع بعضها، إلا أنّها لا تزال ملازمة لنساء قسنطينية خلال طقس الحنّة، بل قد تمّ تبنيها من قبل مناطق أخرى، وهذا ما يترجم من الناحية الأنثروبولوجية بانتشار ثقافي للعناصر المحلية.

تتربع العروس فوق كرسّي متصدرّة المكان، ومقابلة للمدعوات في جوّ من الأبهة، وعلى وقع الزغاريد والأغاني المنبعثة من مكبرات الصوت أو من الفرقة الغنائية، والتي لا يُشترط أن تكون من الفقيرات اللاّتي كانت تُسندُ إليهن مهمة إحياء هذه الأُمسية النسائية في قسنطينة، لتتم نفس الممارسة الطقوسية التي كانت تشاهد خلال مراسيم الجُرّيّة التقليدية، مع اهتمام خاص بالرشق بعد طقس الحنّة والذي جعل هذا الطقس الرمزي يتحول إلى مجالٍ لجمع الهدايا والمنافسة والمبارزة العلنية بين العائلتين المتصاهرتين أمام المدعويين (ينظر: الصورة رقم 03)،

هذه الهدايا الذهبية التي يتم عرضها على المدعويين في تفاخرٍ واعتزازٍ وتباهٍ، ومنه فالجرّيّة عموماً وطقس الحنّة خصوصاً مناسبة لكل

الصورة رقم 03: الرشق خلال طقس الحنّة



المصدر: الباحثة - (جرّيّة قسنطينية 2002)

طرف للتفاخر بما لديه من ثروة وجاه، كما أنّ الإعارة والاستدانة هنا ليستا بنادرتين، حتى يبدو كل طرف أحسن من الآخر في كل المستويات؛ في طريقة لباسه، ولباقته...، ومن هنا تختار والدة العريس النساء الجديرات أن يشرفن عائلتها، ولتحرص أم العروس في مقابلها على اللباقة في الاستقبال والجود وكرم الضيافة وحسن الطبخ، هذا الرّكض الذي سيكلف العريس جرّيّة تُقدّر بآلاف الدينارات؛ بين المجوهرات والألبسة والأحذية والعطور المستوردة غالباً، ويكلف عائلة العروس وجبة غذائية وقهوة لا تقل تكلفه عن الأولى، أمّا المدعويين فيكلفون بمبالغ مالية معتبرة؛ بين التحضيرات الشخصية لحضور الحفل، والهدايا وما يقدم من رشق خلال طقس الحنّة. تقوم هذه الممارسة على مبدأ المبادلة والمعاملة بالمثل؛ على الهدية والهدية المضادة بحسب تعبير "مارسيل موس M.Mauss" في مؤلفه "Essai sur le don"¹ حول التبادل الذي أبرز فيه نظام التهادي الاجتماعي، والأهمية الأنثروبولوجية للهدية من خلال مبدأ الثلاثية "الإهداء، التلقي والرد"، هذه العملية التي تبدو اختيارية في الواقع إجبارية، بل قائمة على ما يسميه "موس" بنظام الهدية الملزمة؛ إذ أنّ قيمة النقود الموضوعة خلال الحنّة ليست عطاءً خالصاً بل يمكن اعتبارها ديناً رمزياً ومادياً، أو نسق من الديون المدفوعة آجلاً أم عاجلاً بأسلوب علني، بل أكثر من ذلك إنّها غرامة على كل مدعو دفعها، وسترتجع قيمتها

¹ Mauss Marcel, *Essai sur le don, suivi de rapport de la psychologie et de la sociologie*, présenté par BENBARKET Houria, re.éd., ENAG, Algérie, 1989.

المالية لاحقاً¹، باعتبارها أمانة يجب ردها عندما تحين أول فرصة، فحضور المدعوات شخصياً وقيمة كل هدية تسجل في الذاكرة الفردية والجماعية وعلى أشربة الفيديو، وعندما تحين مناسبة شبيهة وتنعكس فيها الأدوار، يكون صاحب فرح اليوم مدعوً، والمدعو هو صاحب الفرحة، فعلى الطرف الأول تشريف الثاني ومعاملته بنفس طريقة معاملته له، بل وأحسن منه، ويجب أن تكون هديته

الصورة رقم 05: تقطيع قالب الحلوى



المصدر: الباحثة (جزيّة قسنطينية 2019)

الصورة رقم 04: الباس الخاتم خلال الجزيّة



المصدر: الباحثة (جزيّة قسنطينية 2002)

أكبر وأجمل، هذه العملية هي تجديد واستدامة لدورة تبادلية، وخلق واستدامة للعلاقة الاجتماعية بين الأفراد والجماعات. إذا كان استهلال الجزيّة مازال كما في المراسيم التقليدية، فإنهاؤها قد اتخذت شكلاً مغايراً؛ إذ تتواصل بعد مغادرة العروس قاعة الاحتفال لتعود مرة أخرى في حلّة جديدة مغايرة، وتكون فترة غيابها فرصة للمدعوات للتحرك من أجل تغيير ثيابهنّ للبروز والتباهي، ثمّ توضع لهن في هذه الأثناء القهوة المرفقة بعدد من الحلويات، في انتظار عودتها رفقة العريس وهي مرتدية فستان سهرة ذو ألوان زاهية فاتحة يشبه فساتين الأميرات.

2.5. المرحلة الثانية وبوادر نزعة فردية:

وحتى الجزيّة لم تعد تحتتم بطقس الحنّة؛ الذي أضحي يُتبع بممارسة مستحدثة تتمثل في إلباس العروس خاتماً من قبل العريس أمام كل النسوة المجتمعات ثمّ يقبلها أمامهنّ، متبوعاً بتقطيع قالب الحلوى أو ما يسمى (la pièce montée)، من قبل العروسين وتبادلهما قطعاً منه تحت أضواء الكاميرات وآلات التصوير والزغاريد وفرحة الحاضرين (ينظر: الصور رقم 04 05) توضح، وهنا تجدر الإشارة -عند الحديث عن الجزيّة- إلى أنّ أبرز التغيّرات الحاصلة هي استحداث مصطلح جديد للإشارة إليها؛ إذ أضحي هناك توجه لاستخدام مصطلح "Fiançailles"، للدلالة على مراسيم الجزيّة، دونما أن يقصد بها الخطبة، رغم أنّها المقابل العربي لهذا المصطلح الأجنبي، ويفرق المستجوبين تفریقاً قاطعاً بينهما؛ فما دلالة هذا التغير؟

تحمل هذه التغيّرات دلالة رمزية مهمّة؛ فإنّ كانت الجزيّة أول ول لقاء بين العائلتين، فإنّها أول لقاء علني بين العروسين حتى وإن كانا قد تعارفا قبلاً، تعبيراً عن الرّغبة في بروز دور العروسين خلال المراسيم الاحتفالية، وبوادرًا لتنامي النزعة الفردية والرغبة في

¹ Jamous Raymond, *Honneur et Baraka, Les structures sociales traditionnelles dans le Rif*. Éd., de la Maison des Sciences de l'Homme, Paris, 1984, p. 275

الاستقلالية، والمعبر عنه بدخول العرسين مع بعضهما، وتقطيعهما للحلوى والرقص بحضور أصدقائهما أثناء مباشرة هذه الطقوس، والتي كان من المعتاد أن يقوم عليها أفراد العائلة، ليصبح العريس أحد الفاعلين المهمين بعد أن كان له دور له خلال الجزية في المراسيم التقليدية، ولم تعد العروس تلك الدمية التي يحركها الفاعلون المسؤولون عن سيرورة المراسيم، والدراية التي كانت تغطي وجهها وتحجبها عن المدعوين تسدل خلف ظهرها، وبإمكانها تبادل الابتسامات والنظرات المشتركة مع الموجودين وهي رموز للتواصل. يبدو أنّ هذه التغيرات التي لحقت بالجزية هي نتاج للتأثر بالتمازج الغربية، إذ لا يزال معناها يدل على إشهارٍ للاتفاق الذي تم في إطار عائلي ضيق، وتحضير رمزي لانتقال العروس من عائلة والدها إلى عائلة زوجها، كما يبدو أنّ مرحلتها الجزية التقليدية والمستحدثة متكاملتين لهما نفس الدلالة؛ إذ عندما تمد العروس يدها للبس الخاتم من قبل العريس إيدان عن اتحادها من خلال تأكيد قبولها المباشر أمام عدد أكبر من المدعوين والأصدقاء، و"الخاتم هو الحلقة التي تجمع بينها وبين الرجل في عائلته الجديدة"¹، وقالب الحلوى كناية عن الفرح بهذه المناسبة، وعن التعاون الذي يرغب العرسين في تحقيقه، ومشاركتها في الطقوس والأفعال تعطي قيمة لعلاقات التبادل والتكامل التي تنتظر من الرجل والمرأة عندما يكونان زوجان²، يبدو هذا الجزء الثاني المستحدث من الجزية استجابة للتغيرات الاجتماعية الحادثة، وتكييف لمعنى الجزية مع التغير الظاهري الحادث في العلاقة بين الجنسين، ومنه فإنها امتزاج بين التقليدي والعصري.

من الملاحظ خلال مراسيم الجزية في كل الحالات التي تمت مشاهدتها، أنّ طقس الحنة يسبق ممارسة الخاتم وقالب الحلوى، ونعتقد أن هذا ليس من باب الصدفة أو الاعتباط في شيء، بل تسبيق الطقس التقليدي رمز لتسبيق قبول الجماعة عن القبول الفردي؛ أي "تسبيق النزعة الجماعية عن النزعة الفردية".

وفي النهاية قد تغير العروس ملابسها للمرة الثالثة أو أكثر من ذلك، تأكيداً لمبدأ التميز ورغبة في البروز لتختم الجزية بتقديم السمّاط³ وهو نوع من التحلية التقليدية.

6. الجزية بين المراسيم التحضيرية والمركزية للعرس القسنطيني الحالي:

رغم الأهمية الكبرى المعطاة للتحضيرات المرتبطة بالعرس، يبدو أنّه قد بدأ يفقد من أهميته لصالح مراسيم الجزية، والتي اتخذت خطوة خاصة في قسنطينة تفوق أحيانا أهمية المراسيم المركزية التي كانت تقام من أجلها كل مراسيم الزواج، وطقوس ليلة الدخلة، فالجدير

¹ Cazeneuve Jean, *Sociologie du rite : tabou, magie, sacré*. Ed. P.U.F, 1971, p.11

² Herault Laurence, « La cheville et le brandon ; rituels de fiançailles et de mariage dans le haut bocage vendéen » ; in : *Terrain N° 08 –familles et parenté*, 1987, p. 43

³ السمّاط: نوع من التحلية يقدم في قسنطينة في نهاية المناسبات الاحتفالية والتجمعات العائلية، ويكون عموماً من المخلّي؛ وهو خليط من الحليب وبدة الأرز والسكر وماء الورد المقطر أو كما يسميه القسنطينيون "رأس القطّاز"، والشريك وهو خبز خاص، وفاكهة الموسم، أو طبق الطبخ القسنطيني الذي يعتبر من أشهر الأطباق التقليدية التي لا يستغني أهل قسنطينة عن حضورها في صينية السمّاط التقليدية، وهو مزيج بين الحلو والمالح؛ حيث يحضر من أطراف لحم العجل الذي يطهى للمرة الأولى ثم يصفى ويطهى مرة أخرى بالعرس الذي يعطيه لونا ذهبيا، ويضاف للوصفة ماء الورد المقطر، ثم يقدم هذا الطبق على صينية السمّاط القسنطينية، ويقدم إلى جانبه خبز خاص إضافة إلى الفواكه والمشروبات.

بالذكر أنّ مراسيم العرس قد فقدت الكثير من الطقوس المتعلقة بها لدرجة أنها ارتدت شكلا جديدا، فاختلفت طقوس عديدة كانت تميزها، وظهرت بدلا عنها طقوسا وممارسات أخرى¹.

إنّ من أبرز التغيّرات التي لحقت بالعرس هو التغير الخاصّ بأيام الاحتفال، وعددها، ومكان ووقت إقامته، وتجميع مراسيمه خلال دمج مراسيم الصبّاحة (صباحية العرس)، والسّابع مع العرس، أو دمج العرس مع الجريّة، لكن نظرا لثقل المعاني المرتبطة بها فإن الأهمية الكبرى التي كانت منصبة على ليلة الدخلة لم تختف تماما، والملاحظة الدقيقة تبرز لنا أن أهميتها قد أزيحت نحو مراسيم الجريّة.

وفي محاولةٍ منّا لمعرفة دلالة طقس الحنّة وتصورات الفاعلين عنه، جاءت أجوبتهم بكونها "تقاليدنا وعاداتنا"، لكن لا يخفى أن الحنّة كانت دائما وأبدا حاضرة في كل طقوس الانتقال، كرمز للفرح والبهجة "هذه الصبغة تستعمل خلال كل أحداث الحياة السارة للمرأة: خطبة، زواج، ولادة وحمل"²، وتمنع في فترات الحزن والموت، كما أنّها مليئة بمزايا عديدة كونها إحدى نباتات الجنة التي تحمل معها البركة، وتحمل خصائص وقائية وعلاجية وسحرية؛ هذا الوسم الجسدي للمرأة يحمل وظيفة تجميلية وإغرائية أيضا، تلوين من أجل جعل العريس يحن لعروسه وتحلو في عينه؛ كما يمكن اعتبارها طقسا انفصاليا، يسمح من خلاله بانتقال رمزي للعروس من عائلة والدها إلى عائلة زوجها.

فإذا كان طقس الحنّة طقس تطهيري لجسد المرأة وجالب للرضا والبركة، فللحنّة قدرة على إبعاد الجن وإبطال مفعول العين حسب المعتقدات الشعبية، إلا أنّها فرصة جيّدة لإقامة السحر، حسب ما أكّده لنا المستجوبون، وكثيرا من الناس يتخذون من طقس الحنّة فرصة سانحة لإقامة السحر، كتعطيل العروسين في ليلة الدخلة، أو حرمان العروس من الإنجاب، أو حتى كهرة الجو بين العروسين وتفريقهما، وهو اعتقاد راسخ مما يفسر الاهتمام الكبير بإقامة هذا الطقس وعدم السماح لأيّ كان -عدا الأقارب المباشرين- بالاقتراب أثناء مباشرته، كما يعتمد إلى إخفاء الطبق الذي حضرت فيه من قبل قريبات العروس (أمها أو أختها أو خالتها) ومحي كل أثر لها عن طريق الماء، وفي مناطق أخرى من الجزائر قد يتم إخفاء الخليط المتبقي في التراب تحت الأشجار؛ ويمكن تفسير لك بالرغبة في الإنجاب والتكاثر كما تنمو النباتات وتتكاثر.

كما يتّضح أنّ الجريّة ليس ذريعة فقط لجمع الرشقّ والمواجهة بين الطرفين المتصاهرين؛ بل يبرز طقس الحنّة ككناية عن طقوس ليلة الدخلة، وتأكيد لعذرية العروس، وهذا ما قد يفسر الأهمية الكبرى التي ألحقت به وبالحنّة التي لا يستعملها أحد غير العروس، وإضافة لكل المزايا التي تتميز بها الحنّة فإن "لونها يعود بنا للون الأحمر، فقد يكون لهذا الطقس معنى رمزي آخر، وهو دم فض البكاره ليلة الدخلة"³؛ وهو ما قد يفسر أيضا وجود العريس إلى جانب العروس خلال تأدية هذا الطقس ليؤكد بوجوده على عذرية

¹عباس فريال، مراسيم الزواج في مدينة قسنطينة، مقاربة أنثروبولوجية، ماجستير في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، جامعة منتوري قسنطينة، 2004، ص.86

² Bannad Traki, « Le mariage au Maghreb, une fête sociale des sens », In *Quantara*, N° 20, 1996, p.55

³ Jamous Raymond, *Op.cit.*, p. 250

العروس وشرف العائلة، كما أنّ "العادة تريد أنّ كل الاحتفالات الكبيرة بالزواج تدل وتصاحب الزواج من فتاة عذراء"¹ ، وأبهة الاحتفال وتفخيمه، وتجميع المدعوين هو احتفال بشرف العائلة التي لا تزال تمثل الفتاة من خلال كل الطقوس التي تمارس على جسدها.

7. خاتمة:

لم يكن هدفنا وضع جرد للطقوس والممارسات التي اختفت أو استمرت، وإنما تبيان لوظائفها الاجتماعية، وقد برز للجريّة دور اجتماعي مهمّ؛ باعتبارها أول زيارة رسمية للعائلة التي تمّت مصاهرتها، وأول فرصة للطرفين للمواجهة ووضع شرفهما موضعاً للحكم الاجتماعي، مواجهة تتّرحم بمصارييف مهمّة، وعرض خاص لمجموعة من الرموز أمام جمع من المدعوين الجديدين بالحضور، هذه الزيارة مؤسسة على التبادل؛ الهدية والهدية المضادة، ولعل طقس الحنّة الذي كان ولا يزال محور الجريّة دلالة قاطعة على ذلك، رغم التغيّرات الظاهرة، إلا أنّ قيم الجماعة التي تدور حول الشرف لا تزال موجودة، فالاحتفال الكبير ما هو إلا احتفال بشرف العائلة التي لا تزال تمثل الفتاة والذي يعكسه طقس الحنّة.

أما التغيّرات التي لحقت بها فتعدّ تعبيراً عن التغير الحادث في المجتمع من بروز لبوادر نزعة فردية، وتداخل بين التقليدي والعصري، لكن تبقى المراسيم الاحتفالية بالزواج عموماً من أقوى الأحداث التي تعرفها الأسرة، كظاهرة اجتماعية ثقافية.

❖ قائمة المراجع باللغة العربية:

1. القواميس والمعاجم

▪ لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية الطبعة 19، - بيروت، دون سنة النشر.

▪ معجم المعاني الجامع، لكل رسم معنى، <https://www.almaany.com>

2. الكتب

▪ دياب فوزية، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية. دار النهضة، بيروت، 1980.

▪ غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة، مصر، 1993.

3. الرسائل الجامعية

▪ عباس فريال، مراسيم الزواج في مدينة قسنطينة، مقارنة أنثروبولوجية، ماجستير في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، جامعة منتوري قسنطينة، 2004.

▪ قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن 13هـ: من أواخر القرن 18 إلى منتصف القرن 19. رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1998.

❖ قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1. الكتب

¹ Tillon Germaine, *Le harem et les cousins*, éd. Seuil, Paris, 1966, p.132

- Beaud Stéphane et Weber Florence, *Guide de l'enquête de terrain : produire et analyser des données ethnographiques*, éd. La découverte. Paris, 1998.
- Cazeneuve Jean, *Sociologie du rite : tabou, magie, sacré*. Ed. P.U.F, 1971.
- Demombynes Gaudefroy, *Les cérémonies du mariage chez les indigènes de l'Algérie*, éd : Maisonneuve, Paris, 1901.
- Dib- Marouf Chafika, *Fonction de la dot dans la cite algérienne. Le cas d'une ville moyenne : Tlemcen et son hawz*. Éd. O.P.U., Alger, 1984.
- Jamous Raymond, Honneur et Baraka. *Les structures sociales traditionnelles dans le Rif*. Éd., de la Maison des Sciences de l'Homme, Paris, 1984.
- Mauss Marcel, *Essai sur le don, suivi de rapport de la psychologie et de la sociologie*, présenté par BENBARKET, Houria, re.éd., ENAG, Algérie, 1989.
- Saïdani Maya (sous la dir.), *Musiques et danses traditionnelles du patrimoine algérien*, Ministère de la culture, Algérie, 2013.
- Tillon Germaine, *Le harem et les cousins*, éd. Seuil, Paris, 1966.

2. المقالات بالمجلات الجامعية

- Bannad Traki, « Le mariage au Maghreb, une fête sociale des sens », In *Quantara*, № 20, 1996
- Herault Laurence, « La cheville et le brandon ; rituels de fiançailles et de mariage dans le haut bocage vendéen » ; in : *Terrain № 08 –familles et parenté*, 1987.
- Kezzal. C Ougouag, « Le costume et la parure de la mariée à Tlemcen ».in *libyca*, TomeXV111, Alger, 1970.
- Leach Edmund R., « La ritualisation chez l'homme selon son développement social et culturelle », in : Collectif. *Le comportement rituel chez l'homme et l'animal. Trad. de l'américain (Ritualisation of behaviour animals and men)* par P.Vielhomme. Éd., Gallimard, Paris, 1971, p.p.241-248.